المحاضره السادسه: النظرية البنائية الوظيفية

(تالكوت بارسونز)

مقدمه: النظرية البنائية الوظيفية	مسلمات النظريه الوظيفيه	الهدف الرئيسي في النظريه الوظيفيه
-الاتجاه البنائي الوظيفي في النظرية الاجتماعية يمثل اكثر الاتجاهات رواجا في علم الاجتماع في خلال الخمسين عاما الأخيرة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأروبا. -وخلال هذه السنوات الخمسين ظهرت مؤلفات عديدة حول هذا الاتجاه النظري في علم الاجتماع وقد اعتبر هذا الاتجاه من المعالم الرئيسية لعلم الاجتماع الاكاديمي المعاصر. - ويميل كثير من علماء الاجتماع الذين يروجون لهذا الاتجاه الى اعتبار علم الأنثروبولوجيا هو المصدر الأساسي لذلك الاتجاه. ويشيرون بصفة خاصة الى كتابات كل من راد كليف براون ومالينوفسكي. -إلا ان هناك علماء اجتماع آخرين يرون أن هذا الميل من جانب علماء الاجتماع الوظيفيين الى الربط بين نشأة الاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع وبين الاتجاه الوظيفي في الأنثروبولوجيا الثقافية إنما هو تشويه للحقيقة ومحاولة لإخفاء الطابع الأيديولوجي المحافظ لذلك الاتجاه. - فالواقع أن الاتجاه الوظيفي يعتمد على المسلمات الأساسية للاتجاه العضوي الذي كان سائدا في النظريات الاجتماعية الأولى في علم الاجتماع والذي تخلى عنه علماء الاجتماع بعد ما أصبح هذا الاتجاه كما يقول (مارتن ديل) سيء السمعة وموصوما بوصمة الرجعية. - والمسلّمة الأساسية التي تعتمد عليها البنائية الوظيفية والتي تدور حول فكرة تكامل الأجزاء في كل واحد، والاعتماد المتبادل بين العناصر المختلفة للمجتمع هي التي كانت تدور حولها فكرة الاتفاق العام عند أوجست كونت وفكرة التكامل الذي يصحب التمايز عند سبنسر ونظرة باريتو للمجتمع على أنه في حالة توازن، كما أن نفس هذه المسلمة كانت موجوده في أعمال دوركايم. -والبنائية الوظيفية ليست في واقع الأمر سوى صياغة جديدة لأفكار ومسلمات قديمة تعود الى القرن (19م) وترتبط بظهور ذلك الاتجاه القوي ذي الصبغة العلمية للدفاع عن النظام الرأسمالي وتبريره. وعلى ذلك فإن المؤسسين الحقيقيين للوظيفية هم علماء الاجتماع الأوائل من الوضعيين العضويين وتعتمد الوظيفية بصفة أساسية على فكرة النسق العضوي التي اعتمدت عليها النظريات العضوية. وهي الفكرة التي مؤداها (أن كل شيء يمكن أن ينظر إلية باعتباره نسقا أو كلا متكاملا يتكون من أجزاء مثل الكائن الحي) .	وبالرغم من الاختلافات بين هؤلاء العلماء إلا انه يمكن القول بصفة عامة أن الاتجاه الوظيفي يعتمد ست أفكار أو مسلمات رئيسية محورية هي:1-يمكن النظر الى أي شيء سواء كان كائنا حيا أو اجتماعيا ، فردا كان أو جماعة صغيرة أو تنظيما رسميا أو مجتمعا أو حتى العالم بأسره على أنه نسق أو نظام وهذا النسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة. فجسم الإنسان يتكون من مختلف الأعضاء والأجهزة، والجهاز الدوري فيه عبارة عن نسق يتكون من مجموعة من الأجزاء، وشخصية الفرد نسق يتكون من أجزاء مختلفة مثل السلوك والحالة الانفعالية والعقلية... الخ وكذلك المجتمع والعالم. 2-لكل نسق احتياجاته الأساسية لابد من الوفاء بها والا فإن النسق سوف يفنى أو يتغير تغيرا جوهريا. فالجسم الإنساني مثلا يحتاج الى الأكسجين والماء، وكل مجتمع يحتاج لأساليب لتنظيم السلوك(القانون) ومجموعة لرعاية الأطفال(الأسرة) وهكذا 3-لابد أن يكون النسق دائما في حالة توازن ولكي يتحقق ذلك فلابد أن تلبي أجزاؤه المختلفة احتياجاته. 4-وكل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفيا أي يسهم في تحقيق توازن النسق. وقد يكون ضارا وظيفيا أي يقلل من توازن النسق وقد يكون غير وظيفي أي عديم الفائدة والقيمة بالنسبة للنسق. 5-يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة متغيرات أو بدائل. فحاجة المجتمع لرعاية الأطفال مثلا يمكن أن تقوم بها الأسرة أو دار الحضانة، وحاجة المجموعة للتماسك قد تتحقق عن طريق التمسك بالتقاليد أو عن طريق الشعور بالتهديد من عدو خارجي. 6-وحدة التحليل يجب أن تكون الأنشطة أو النماذج السلوكية المتكررة. فالتحليل الاجتماعي الوظيفي لا يحاول أن يشرح كيف ترعى أسرة معينة أطفالها ولكنه يهتم بكيفية تحقيق الأسرة بوصفها نسقا اجتماعيا(نظاما) هذا الهدف	-الكشف عن كيفية إسهام أجزاء النسق في تحقيق النسق ككل لاستمراريته أو الإضرار بهذه الاستمرارية . -فعلم الاجتماع الوظيفي قد يحاول الكشف عن دور وسائل الاتصال الجمعي في المجتمعات المركبة في تحقيق المجتمع لتوازنه. وقد يحاول أن يكشف عن الجوانب السلبية للحرب أو الجريمة بالنسبة للمجتمع. -مثال:تحليل(كنجزلي ديفز، وولبرت مور) للتدرج الاجتماعي أو (التفاوت الطبقي) حيث يقول المؤلفان: ((أن التدرج الاجتماعي الذي هو عبارة عن ترتيب للمجموعات أو الأفراد في درجات أو رتب ذات مكانات مختلفة مثل: الطبقات الاجتماعية أو الفئات المهنية هو شيء وظيفي بالنسبة للمجتمع، أي أنه لا بد أن يكون قائما باستمرار لأن هذا التدرج هو أساس شغل المراكز الهامة في المجتمع بأكثر الأشخاص كفاءةً. ويعني كل من (ديفز ومور) بذلك أنه اذا كانت هناك مساواة بين الناس في أوضاعهم الاجتماعية وفيما يحصلون عليه من مزايا، فإن المجتمع لن يستطيع المحافظة على حالته السوية. فالمراكز السياسية والاقتصادية الهامة ستظل خالية أو ستُشغل بأشخاص غير أكفاء مما سيؤدي الى اختلال المجتمع. ويفترض(ديفز ومور) أن عدد الأفراد الأكفاء والمؤهلين لشغل هذه المراكز محدود، وأمثال هؤلاء لابد أن يضحوا في البداية خلال عملية تدريبهم وبالتالي فإنهم لابد أن يحصوا على امتيازات كافية تشجعهم على تحمل فترة التدريب هذه. -وعلى ذلك فان نظام التدرج يسهم في أداء المجتمع لوظائفه، أي يكون وظيفيا بالنسبة للمجتمع بوصفه نسقاً. ويرى عالم اجتماع أخر أن الأسرة تقوم بإشباع حاجات كل من الفرد والمجتمع، أي أنها وظيفية بالنسبة للاثنين. فوظائف الأسرة بالنسبة للمجتمع هي: 1. المحافظة على النوع.2. تنظيم السلوك الجنسي. 3. تزويد الأطفال باحتياجاتهم الجسمية والاقتصادية والنفسية. 4. المحافظة على التراث الثقافي ونقله من جيل الى جيل. أما بالنسبة لوظيفتها للفرد فإنها تؤدى لها التالي: 1. البقاء الطبيعي. 2.الإشباع الجنسي.3. الرعاية والحماية.4.لتنشئة الاجتماعية5-اكتسابه صفاته الاجتماعية

معنى كلمة وظيفه في علم الإجتــماع

- ويستند التحليل الوظيفي – كما يؤكد كثير من العلماء – على التصور العضوي للمجتمع، أي النظر للمجتمع بوصفه يشبه الكائن الحي، وبذلك تستمد الوظيفية مسلماتها الأساسية من الاتجاه العضوي الذي أسسه (كونت ودوركايم وغيرهما) والذي اعتمد عليه علماء الأنثروبولوجيا في تحليلاتهم الوظيفية للمجتمعات البدائية، ثم ما لبث تأثيرهم أن انتقل مرة أخرى الى علم الاجتماع.

ماذا تعني كلمة (وظيفة) في النظرية الوظيفية:

استخدمت كلمة وظيفة بعدة معانٍ في علم الاجتماع، من أهمها:

1-الإسهام الذي يقدمه الجزء للكل - الذي قد يكون المجتمع أو الثقافة- وهذا هو المعنى الذي استخدمها به كل من دروكايم وبراون ومالينوفسكي.

2-الإسهام الذي تقدمه الجماعة الى أعضائها أو الإسهام الذي يقدمه المجتمع الكبير للجماعات الصغيرة التي يضمها.

3- تستخدم – الوظيفة – للإشارة الى دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها عمليات أو أثارا لأبنية اجتماعية مثل انساق القرابة أو الطبقة..الخ.

ومن أهم الأفكار في النظرية الوظيفية هي أن العمليات أو الأجزاء ذات أهمية ثانوية بالمقارنة بالنسق عند تحليل المجتمع.

- ويختلف علماء الاجتماع الذين يتبنون الاتجاه الوظيفي في نوعية الأنساق التي يهتمون بملاحظتها:

1- فمنهم من يركز على تحليل انساق صغيرة(كالمجموعات) ويمثل هذا الاتجاه مجموعة من العلماء، ويعرفونها بوظيفية الوحدات الصغرى

2- ومنهم من يركز على تحليل أنساق كبيرة (كالمجتمع) ويمثل هذا الاتجاه: ميرتون وبارسونز،

ولكن جميع الوظيفيين يشتركون في أن الخصائص التي يحللونها دائما هي خصائص معنوية أو فكرية. أي أنهم مثاليون

بــارســونز

تأثر بارسونز فكريا بعالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم، وعالم النفس النمساوي فرويد والإيطالي باريتو صاحب نظرية الصفوة وعالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر وكذلك بعلماء الاقتصاد التقليديين.

وقد بدأ بارسونز كتاباته النظرية مسترشدا بماكس فيبر، ويمكن تصنيف مؤلفاته الأولى تحت نظريات الفعل الاجتماعي السابق الحديث عنها.

ويرتكز الاطار النظري لبارسونز على أربعة مفاهيم أساسية:

1-الفعل الاجتماعي2-الموقف 3-الفاعل4- توجيهات الفاعلين

- ويرى بارسونز أن كل فعل عبارة عن سلوك، ولكن كل سلوك ليس فعلا. مثال :فاتجاه الفراشة نحو الضوء والذي يعتبر استجابة آلية من جانب ذلك الكائن لمنبه الضوء سلوكا وليس فعلا، وذلك لانتفاء العنصر الذاتي في هذا السلوك.

وعلى ذلك فالذي يفرّق بين الفعل والسلوك ، هو ان الفعل يتصف بعنصر اتخاذ القرار الذي يقع بين المنبه والاستجابة. أما الموقف فإنه قد يكون المسرح أو أي ظرف يكون فيه الفاعل مضطرا لاتخاذ قرار يختار بموجبه بين أدوار بديلة يقوم بها.

والموقف يتضمن مجموعة متنوعة من المنبهات الممكنة، وبصفة خاصة الموضوعات سواء كانت إنسانية أو غير إنسانية وكذلك مجموعة من المعايير التي هي عبارة عن: تصورات لما هو مرغوب فيه . ومهمة الباحث أن يحدد كيف ولماذا يستجيب الفاعل لمنبهات معينة دون غيرها

- وحين يوجد الفاعل في موقف ما ويكون عليه أن يقوم فيه بفعل معين فإن هناك ما يحدد اختياره لنوعية ذلك الفعل وهذه المحددات هي ما اسماها بارسونز بالتوجيهات

فحين نتعامل مع الآخرين فإنه توجهنا عدة أشياء، فلا بد ان نقرر ما اذا كان تعاملنا معهم سيكون على أساس علاقة انفعالية أو سيكون محايدا انفعاليا ، وبناء على ذلك نقرر ما اذا كنا سنتعامل معهم على أساس انهم شخصيات متكامل هاو على أساس جزئي ثانوي فحين يختار رجل ما زوجة له ، فانه يتعامل معها انفعاليا وعلى أساس أنها شخصية متكاملة، وحين يختار طبيبا ليعالجه فانه يتعامل معه على أساس غير انفعالي وبالتالي ينظر آليه من جانب واحد فقط هو كفاءته في وظيفته(وقد اسمى بارسونز ذلك بالتوجيهات الإدراكية الدافعة).

كذلك يجب ان نختار بين ان نتصرف في موقف ما على أساس المصلحة الذاتية أو على .. أساس مصلحة المجموعة(واسمى ذلك بالتوجيهات التقويمية الدافعية).

التوجيهات عند بارسونز

وقد ميّز بارسونز بين ما اسماه بالتوجيهات الدافعية والتوجيهات القيمية.

حيث تشير التوجيهات الدافعية الى تلك الجوانب من توجيهات الفاعل نحو موقفه والتي ترتبط بالإشباع أو الحرمان الفعليين أو الممكنين لاحتياجات الفاعل.

وتوجد ثلاثة أنواع من التوجيهات الدافعية:

1-التوجيهات المعرفية: وتتضمن تحديد مكان الموضوع الذي نتعامل معه في عالم موضوعات الفاعل وتحديد خصائصه ووظائفه الفعلية الممكنة وتمايزه عن غيره من الموضوعات.

2-التوجيهات الانفعالية : وتتضمن مختلف العمليات التي يوزع بواسطتها الفاعل طاقته على مختلف الأعمال فيما يتعلق بمختلف الموضوعات ذات الدلالة الانفعالية في محاولته زيادة الإشباع

3- أما التوجيهات القيمية: فتشير الى المعايير الثقافية أو الى تلك الجوانب من توجيهات الفاعل التي تجبره على ان يأخذ في اعتباره إمكانية تطبيق معايير معينة ومحكات اختيار حين يكون في موقف يسمح له بأن يختار السلوك الذي يقوم به.

وتنقسم هذه التوجيهات القيمية بدورها الى ثلاثة أنواع:

أ-التوجيهات المعرفية: وتتضمن الالتزام بمعايير معينة ثبت صدقها معرفيا.

ب-التوجيهات التقديرية: وتتضمن الالتزام بمعايير معينة ثبت بواسطتها ملائمة أفعال معينة لموضوع ما انفعاليا.

ج-التوجيهات الأخلاقية: وتتضمن الالتزام بمعايير معينة تحددت صلاحيتها على أساس نتائج الأفعال بالنسبة للنسق الكلي(أي المجتمع).

النظريه الوظيفيه لدى بارسـونز

وهذه العناصر المختلفة التي بدأ بارسونز يدرسها (أي الفاعل والفعل والموقف والتوجيهات) ارتكز عليها فيما بعد عند محاولته تكوين نظرية بنائية وظيفية عن المجتمع، وهي التي يرى ان أي نسق يتكون منها فهي تدخل في تكوين ثلاثة أنواع من الأنساق:

1- النسق الاجتماعي
2- نسق الشخصية
3- النسق الثقافي.

-ويعرّف بارسونز النسق الاجتماعي عدة تعريفات أوضحها ذلك الذي يقول:

(والنسق الاجتماعي عبارة عن فاعِلَين أو اكثر يحتل كل منهم مركزا أو مكانة متمايزة عن الأخرى ويؤدي دورا متمايزا، فهو عبارة عن نمط منظم بحكم علاقات الأعضاء ويصف حقوقهم وواجباتهم تجاه بعضهم البعض، واطار من المعايير أو القيم المشتركة بالإضافة الى أنماط مختلفة من الرموز والموضوعات الثقافية المختلفة).

-ويعرّف بارسونز الدور بانه:

سلوك الفاعل في علاقته مع آخرين اذا ما نظرنا الى هذا السلوك في سياق أهميته الوظيفية للنسق الاجتماعي،

-أما المكانة :فتشير الى موقع الفاعل في نسق علاقة اجتماعية معينة.

-وعندما يتكون نمط ثابت نسبيا من الأدوار يسمى ذلك بناء

-أما النمط الثابت من علاقات الأدوار فيسمى نظاما.

-أما النسق الثقافي :فيرى بارسونز انه نتاج لانساق التفاعل الاجتماعي من ناحية ومحددا لهذا التفاعل من ناحية أخرى

وقد ميّز بارسونز بين ثلاثة أنماط من الانساق الثقافية:

١. انساق الأفكار أو المعتقدات.
٢. انساق الرموز التعبيرية مثل الفن.
٣. انساق التوجيهات القيمية.

يتبع- النظريه الوظيفيه لدى بارسـونز

ويرى بارسونز أن الانساق الاجتماعية تتصف بخاصيتين أساسيتين هما:

أولا: ميل مكونات النسق الى الحفاظ على درجة عالية من التكامل على الرغم من الضغوط البيئية.

ثانيا: ميل الى التوازن أي استمرارية مكونات النسق في أداء وظائفها.

كما يرى بارسونز في نظريته عن (النسق الاجتماعي)

أولاً: أن المجتمع يملك واقعا وحقيقة اجتماعية مستقلة كنسق اجتماعي، عن وجود الأفراد.

ثانياً: يُبرزُ البناء الاجتماعي أو الأنساق الفرعية التي يتكون منها البناء (المنظمات) عددا من الوظائف الأساسية الهامة . وتتكون هذه الوظائف من :

1-التكامل: بمعنى أن النسق يعتمد على مجموعة من المعايير التي تربط الفرد بالمجتمع، فينتج التكامل المعياري في نسق المجتمع العام ككل.

2-نمط المحافظة: ويعني أن النسق بما يتضمنه من معايير وقيم لها عموميتها، يؤدي الى المحافظة على نمط التفاعل فلا يخرج أو ينحرف عن حدود النسق.

3-التكيف: ويعني أن كل نسق اجتماعي عليه أن يتكيف مع البيئة الاجتماعية والمادية التي يوجد بها . فالفرد من خلال دوره يتكيف مع نسق المجتمع العام، والمجتمع العام يجب أن يتكيف مع نسق المجتمع الدولي.

4-تحقيق الهدف: ويقصد به أساليب الأفراد الفاعلين من أجل تحقيق الهدف . بمعنى أن الأفراد أثناء إشباعهم لحاجاتهم يختلفون من حيث مكونات شخصية كل منهم، حيث يختار كل منهم بديلا من البدائل المتاحة في النسق الثقافي.

ما سبق يعني :أن أي نسق لابد أن يتكيف مع البيئة الطبيعية ويهيئ الوسائل الاقتصادية الضرورية لحياة أعضائه، ولكي يحقق النسق أهدافه لابد له من صورة ما من التنظيم السياسي (أي تركيز القوة) ولابد من حماية النسق لنفسه من التحلل والتفكك وذلك عن طريق وضع مجموعة من القوانين والتنظيمات وإقامة جهاز شرطي يعمل على تنفيذها(التكامل)كما لابد له من تدريب الأعضاء الجدد عن طريق الضبط الاجتماعي على المشاركة في نشاطات المجموعة تبعا للأساليب المحددة.

ويشير بارسونز الى المجتمع الإنساني ككل بوصفه نسقا يتكون من مجموعة من الأنساق (المجتمعات) التي يشكل كل منها نسقا مستقلا نسبيا ولكنها جميعا تشكل سويا نسق المجتمع الإنساني.